



خواط

ضبيباية الفرسى

مرمر محمد



ضبايية الهوى

مرمر محمد

الكتاب: ضبايية الهوى
تأليف: مرمر محمد
النوع: خواطر ونصوص
صدر عن كتوباتي: 2024م
التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي
النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.
وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفهرس

5	الإهداء
7	المقدمة
8	قلب الطفلة
11	حرب بلا راء
14	بداية الأحلام
17	الفريسة الثالثة عشر
19	الساقى الباغى
21	ضبايية الهوى
24	درب سام
26	مزدوج المشاعر
28	رميم الذكريات
31	استعارة قلب
33	حلم وواقع
35	هنيئاً لى فقد ربح قلبى
38	الحب القديم
39	خلسة
40	العشق القاتل
42	لست مثالىة
43	لم لم ترحل؟
47	قتيلة للهوى

- 53 دقق الحنين
- 56 عودة قلم
- 58 عاودني الحنين
- 62 انسيني
- 65 قلت أحبك
- 69 طائر الحب
- 72 حيرة أم غيرة؟
- 73 أي حب؟
- 75 من أنت؟
- 76 لست بخيراً
- 79 الوهم
- 80 خيط ومتر
- 81 قاطن أيسري
- 82 تائه فيه
- 84 إيقاع أسود
- 85 ديسمبري
- 86 إلى نقطة البداية

الإهداء

إلى من ظلَّ ينيِّر القلب بكلماته الجميلة...

سَقِينَا حُبْنَا بِالْأَمْسِ، بِالْأَشْوَاقِ وَالنَّجْوَى

وَصِرْنَا الْيَوْمَ أَشْبَاحًا

بِلا رُوحٍ

بِلا مَأْوَى

فَلَيْتَ الرُّوحَ لَا تَسْلُو، وَلَيْتَ القَلْبَ لَا يَهْوَى

-لقائله-

من كتاب حين يجمعنا القدر

المقدمة

هناك في الأفق البعيد تلوح رآية بيضاء، تحلق حمامة بيضاء، تطير كذلك طائرة بيضاء. هناك في الأفق البعيد حيث لا يظهر إلا الأبيض، يبدو أنه غطى السماء مُلتهمًا ما بها من زرقه، لكن ما العيب فيه؟

أن يكون كل شيء بالأبيض

السماء، الجبال، الطيور وقلوب البشر؟

قلب الطفلة

خافقي لا يحتمل الشكوى!

قلبي كقلب طفلة صغيرة قيل لها: هاكِ الحلوى، تعالي يا حلوة.
ركضت فرحًا كي تأخذها، وحينما وصلت وجدتها اختفت أو ما هي إلا محض
سراب، فبكت وانتحبت، صرخت صرخات كبرى؛ فمن ذا سيوقفها؟
لن تتوقف كلا، وكأنه كُسرت في جوفها جرة، طال الحزن عليها كثيرًا، باتت
تمقت وتتفادى بائعي الحلوى!

بهتت ملامح وجهها، هل جل هذا لأجل حلوى؟

ولكن ...

مرت أيام أخرى!

عاد البائع ذاته، بالهيئة ذاتها، وصاح مجددًا: هاكِ حلوى، تعالي يا حلوة.
لم تصمد، أو لم تتوقع عودته حتى، عادت بهجتها فهي مجردة طفلة، فرحت،
ضحكت، راحت تركض وتنادي:

حلوى، حلوى!

ركضتُ إلى مكانه، وكما سابقتها ذهب واختفى من دون أن يسمعها كلمة.
لم تبكِ هذي المرة، صرخت صرخة تتلوها صرخة: عمي الكاذب، إياك أن
تعاود هذي الكرة، لا تأتي إلى منطقتي وتنادي عليّ يا حلوة
ولكن...

مرت أيام أخرى، جاء البائع يتبختر، يبتسم، ويحمل في يده حلوى. ظل ينادي،
وينادي: حلوى، حلوى، تعالي يا حلوة!
وكما تفعل في كل مرة، راحتُ تركض، إلى أن اكتست ملامح وجهها دهشة،
خوفًا، فرحًا، ملامح حقًا مختلفة، من بعدها وقفت، لم تتحرك، لم تنبس ببنت
الشفة.

صاح البائع: أنتِ هناك، تعالي وخذيها، أو لا تحبين الحلوى؟
جال الصمت، إلى أن نطقت: عفوا عمي! لِمَ قد عدت؟ لِمَ قد جئت؟
الآن بتُ أمقت تلك الحلوى، ولست تلك الطفلة الحلوة، الآن كبرت، فهمت،
عرفت، وأنت بتلك العادة لم تتغير، تصرخ، تكذب وأنا من أركض نحو سراب
لم ألحقه حتى، كنت تدلل قلبي وتؤذيه ببضع كلمات صغرى، تنادي علي:
(حلوى، حلوى) وأنا لم أدرِ مما تصنعها!
أهي من قلبي؟

أم من فرحي؟

أو من ضحكاتي التي أبعثها عفوا؟

صمت رفعت رأسها إلى أن صرخت: عفوا عمي، الآن ما عدت أريد

الحلوى!

حقاً وأنا لا أحتمل الشكوى.

حرب بلا راء

من هنا ابتدرت الحكاية...

لكل نقطة بداية، والخامس عشر من أبريل قصة ورواية طال أمدها فلا بد لها من نهاية، تنفست شمسهُ مُشرقَةً ومبهرة، أفرد الحمام بجناحيه وحلق عاليًا، غردت العصافير فرحةً بليلةٍ أشبه بليلةِ القدرِ، كل منّا خرج لممارسة حياته التي اعتادها بحثًا عن قوت يومه، حتى اختلطت مسامعهم بثلاث رصاصات متتالية، تبعتها خمس أخريات، ثم دوي مدفع...

ومن يومها ما عادت صباحات بلا دي مُبهجةً كما السابق، تغريد الطيور، ضوضاء المدينة وصخب المارة وجميع أولئك الذين كانوا يضعون بصمتهم على البكور تلاشوا، فقد بات للرصاص دورًا فيها كما زقزقة العصافير تلك والتي أصبحت هي الأخرى على غير العادة ومع امتزاج أصوات الديوك ويكأنها مليئة بالنواح على روح الوطن، فمتى يا حرب أما كفاك؟

أي بابٍ ذلك الذي طرفتيه، بل وكيف ولجث حياتنا عنوة؛ لتثري فيلماً من الرعب، خطفت الضحكات من أفئدة الصغار، وأدت أحلام الشباب، أفرطت في الأذى، ورجمت أمام أعيننا المعنى الحقيقي للحياة، أصفق لك ثناء فقد نجحت في تدمير كل شيء كان يسهل بنائه، فحقًا أما كفاك؟

ثلاثمائة وخمس وستون يوماً ونيف لم تكن تُبصر أعيننا سوى جحافل من
الغيومِ السوداءِ التي تغطى سماء بلادنا، رائحة الدماء، أشلاء الجثث، أصوات
النداء.

أيا سامع ذلك النداء قل أين اللون الأبيض؟ أين لون الحمام، السحابات
الهاربات من أمهاتهن ليُمطرنا حُبًا، أو حتى راية ترفرف عاليًا مُعلنة حلول
السلام؟

فإنَّ الله قد ضجت مشاعرنا، وما عدنا كما كُنَّا، ضاعت أحلامنا وتبعثرت
بين الماضي والحاضر، وكيف لنا أن نرى المستقبل الذي بات مجهولًا.
اشتقنا إلى الضجيج والصخب، إلى سحر المساء، وصفاء السماء، اشتقنا إلى
بيتٍ كان يأوينا، وجارٍ لا يفارقنا، لكن هيهات فالحاضر يفرض ذاته أن نتأقلم
عليه رغمًا عنا، والماضي ما زال يسطر على دفتر الحكايات الرواية،
والمستقب يفتح صفحات ليعلن لنا أنها الذكرى الأولى ولكن هل ستكون
هناك المزيد من الذكريات المريرة؟
قلمي العزيز...

اعذرني لم أرد يوماً أن تكتب عن الحرب، أود لك أن تكتب فقط عن السلام،
إلا أنه وأيم الله قد طال، رغم ذلك ما يئسنا، رسمنا سلامنا بأيدينا حتى حلوله
ياذن الله.

فيا حرب!

لكل بداية نهاية، تواضعي خجلاً لتسقطي حرفاً واحداً فقط؛ ليأتي الحبُّ
فيبذر كل ما طحنتيه.

2024/04/15م

ذكرى عام للحرب

بداية الأحلام

في حنايا كُلِّ منْأُ ثمة حكاية وربما الجُم من الحكايات، هناك ما يمكننا روايته والآخر يظل حبيسًا في سويداء قلوبنا، وحكايتنا يا عزيزي ليست مثلما تلك القصص، فريدة، عجيبة وكأنها أقرب للخيال من الحقيقة. ربما أكون قد حاولتُ عدة مرات أن أرويها للعالم، فهي لا يحق لها أن تكون حبيسة الدواخل، وأن أستشير ذكرياتنا لأسطر أحرف حكاياتك في كتابي، ولكن الفشل كان حليفي أحيانًا.

كان عليّ أن أمسك القلم، أن أكتب فكرة جديدة ربما، أو أحاول أن أصيغ فكرة أو منحني أخرى لروايتنا تلك، لا أستطيع أن أقول لك عزيزي، فحتمًا لم تعد كذلك منذ وقت طويل وقد كان علي نسيانك. التشتت سيطر تمامًا على عقلي، وعزف عليه نوتة الضياع، وأنا ما عدتُ أدرك من أنا، الجميع لا يعلم كم كانت معاناتي قاسية وأن أصيغ فكرة جديدة غير التي عقلي مرهقة جدًّا؛ لذا لا أعلم ماذا أفعل!

هذه المرة هيأتُ الأجواء، أحضرتُ قرطاسي وقلمي جلستُ القرفصاء عنيّ أستعيد بعض من سلسلة ذكرياتنا القديمة. المطرُ، الغيمُ، الرياح الشمالية

والأغنية التي تذكرني بعيد ميلادي خاصة حاولت أن أخط سطرًا عنك،
ارتجلت فانكسر قلبي .

أيعقل؟!

الحنين في خافقي انطفأ، الحلم في خيالي غفا، والحرب لم تنجح إلا في أن
تخلق سديمًا بدلًا عن فجوةٍ أعتقدت أنها السبيل لنسيانك، كما أنني ظننتُ
أن يوم لقاءنا هو ميلادي الآخر، غير أنك لم تفلح سوى في إشعال نيران
الغضب في داخلي أيّ كائن كنت؟ جعلتُ مني أنثى شيطانية لا تميل إلا
للعوان، أين هربت مني ملامح الطفولة والبراءة؟ أين تلك الروح التي لم
تعلم معنى للشجن، ضاع مني كل ذلك رغمًا عن هذا لم استسلم في أن
أجدني. يومٌ يمر وآخر يمضي على عجل وكلهم من حياتنا، وما فتئنا نعيش
وطأة الخراب والدمار. فتبًا لرحى الحرب التي طالت الأمد، هذه العبثية
اللعينة التي لم تخمد نيرانها البتّة، ولكن اشتعالها من جانبٍ آخر لم يمنعني
من الاستمرار في الحياة - الحمد لله - جعلتُ مني لاجئة في مكانٍ جديد،
حياة جديدة، وروتين جديد رغمًا عن أنفي اعتدت عليه، غير أنني لم أتقلم
فيه، هي ليست الحياة التي أريدها أو أود البقاء عليها ولكن لا سعي في هذه

الحياة إلا بشيءٍ واحدٍ ألا وهو (العلم) وأدرك تمامًا أن ما يجعلني أتقدم تركته خلفي، إذاً أظن أن التأقلم قد فرضَ ذاته عليّ.

هل علي الاستسلام والمكوث أسيرة تلك اللحظات والأوقات أم التغيير وإيجاد طريقة أخرى لخلق هذا التغيير؟

كل شيء بيد الله، لذا سلمت أمري لله واستودعته نفسي وأهلي ومالي وجميع ما أنعم به علي.

الفريسة الثالثة عشر

إليك أكتبُ أيها الفارسُ الهمام، السيدُ المقدام، يا من بعده جَعَتِ الصحفُ
ورُفعتِ الأقلامُ، أبعثُ لك من سويداءِ القلبِ السلام.

أمَّا بعد، أبثُ إليك من بعد التحايا لوعتي، يا من يعلم أن لا ملاذ لي بعده،
فمن ذا قد يُقاسمني ما يكمن وراء الصدور بعدك؟ كنتَ بالأمسِ واقِعًا واليومُ
محض سلسلة من الذكريات أثقلت كاهلي تروداني أحيانا دون جهد يُذكر،
ومرات أخرى ترآني أسترق الإحساس لها. اعتقدتُ أنك آخر اهتمامتي، آخر
ما قد يشغل تفكيري، بيد أنك لم تك من اهتمامتي البتة، ووضعتك في
معاقل النسيان، محوتك من دائرتي فلا أراك حقيقةً ولا في الأحلام.

أتدري عزيزي؟

ربما كل شيءٍ حدث صدفة، حتى لقاءنا كان استثنائيًا، فلا أنكر أنك خطفتَ
ناظري منذ أول لقاء سَطُر لنا - لم يكن قلبي - فأنا أعلم الحبُّ وهمٌ مُخيف
يحمل في طياته الآهات، الممض والكثير الجُم من العبرات، نارٌ تحترق في
حنايانا ومن فرط أذاه حتى تظن أنه سَمَّ قد يقودك إلى الفناء ببطء؛ لذا كنت
أفر منك.

وَأَنْ أَهْرَبَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ أَدْعَ لَكَ الْمَجَالَ لِسْرِقَةِ عَقْلِي، فَكَنتَ ذَكِيًّا وَسَرَقْتَ
لَيْسَ فِكْرِي فَقَطْ بَلْ وَقَلْبِي، جَسَّدْنَا ذَلِكَ الْحُبَّ حِكَايَةَ فَاتِنَةَ الْجَمَالِ، جَعَلْتَ
مِنَ الْخِيَالِ حَقِيقَةً، وَمِنَ اللَّا شَعُورِ شَعُورًا.

فِي بَادئِ الْأَمْرِ تَرَدَّدْتَ فِي سَكَبِ الْوَجْدِ فِي فَوَادِكْ، بِيَدِ أَنِي وَقَعْتَ أُسِيرَةً بَيْنَ
يَدَيْكَ وَسَكَبْتُ، وَسَرَعَانَ مَا اخْتَفَيْتَ تَارِكًا إِيَّايَ وَالْجَةَ فِي مَعْمَعَةِ الْوَحْدَةِ،
عَلِمْتُ بَعْدَهَا أَنِي وَقَعْتَ كَمَا الْأَخْرِيَاتِ فَرِيَسَةَ أَوْ ضَحِيَةَ اسْمِيَّتْهَا أَنْتَ
الْفَرِيَسَةَ الثَّلَاثَةَ عَشَرَ.

يَسْتُ فَبِكَيْتْ، لَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَا نُوْجِرَ عَلَي الصَّبْرِ فَصَبْرْتُ، أَدْرَكْتُ أَيضًا أَنَا
سَنَخْسِرَ مَا لَمْ نَتَوَقَّعْ يَوْمًا فَقْدَانَهُ، نَجْزِعُ عَلَيْهِ وَنَتَجَرَّعُ مِنْ كَأْسِ الْمَضْضِ أَيَّامًا
مَعْدُودَةً، نَرْتَعْشُ عِنْدَ مَرُورِ ذِكْرَاهُ عَلَي مَسْمَعِنَا، وَفِي لِحْظَاتِ الْوَهْنِ نَتَمَنَّى لَهُ
عُودَةً، لَكِن سَرَعَانَ مَا نَسْتَجْمَعُ شَتَاتِنَا، قُوتِنَا، وَنَمْضِي نَاسِيِينَ مَا كَانَ، فَهَنَّاكَ
خَسَارَاتِ مَا هِيَ إِلَّا كَمَكْسَبِ لَنَا.

الساقى الباعى

الحياة معك يا عزيزى لم تك سوى سجنًا، لكن البقاء فيه معك كان خيارًا
فاخترتك رغمًا عن كل سوء، فهل يختار المرء طريقًا وعرًا للمضي فيه دونما
أن يدري من هو صديقه في هذه الرحلة؟

بغباي سلمت مهجتي لك وأمنتك، رعيتني حُبًا، نَمَوْتُ على عطفك، القممتي
حنانًا وأزهرتُ عمرًا أمام ناظريك، ثم جورًا قصصتني؛ لتهديني خيبة بقائي
معك.

أيا قاطعًا حبل الهوى من فؤادي عنوةً قل لي؟ كيف هان عليك خافقي وأنى
لقلبك أن يكون غاشمًا عليه ولا يبالي؟ أسقيتني كأس الهوى بمذلةٍ وقطفت
جزءًا مني لا ينثني دونما أن تعود لي!
أتدري؟

العيبُ عيبي، والقلبُ ملكي، الحبُّ مني والبغضُ منك.
السكينةُ التي حلمتُ بها وأخبرتني أنني سأجدها بين كفيك لم تكن سوى
سكينًا وخزنتي بها حين غفلة، جززت أحلامي ومن ثمَّ وئدتني، بثُّ كنبتهِ
كُسرت مرآة حياتها أمام ناظريها وحرمت من رؤية أزهارها؛ كيف لا يكون ذلك
إن كان ساقياها وراعيها باعًا؟

ضبايية الهوى

كان الجميع صادقاً إلا إياه، جعل نظراتي صغيرة في أعين أولئك الذين سخرت منهم يوماً وأنا على ثقة أنه فقط الصادق وكل أولئك يكذبون على حبيباتهم، بيد أن صدمتي به وذهولي عن تصرفاته كانا أكبر مما توقعت. كان بطلي هو المنافق فيهم، ذاقني من ضبايية الهوى أوهاماً، ولا منطلق في الحب أحياناً. كنت أهيمن به جنوناً، شخصي المفضل، توأمي المثالي، شبيهي الذي لن أجد له شبيهه، نصفي الذي لا أأكمل بدونه إلا أن ما بيننا لم يكُ حُب. هو لم يتقبلني كحبيبة قط، كنت عنده فتاة كغيرها من الأخريات اللائي يملئن جميع أوقاته، فتى مثله لا يعرف ما هو الحب لا أظنه يضع من بين يديه الفرص ليتلذذ من فتاة لأخرى هكذا كان دائماً، يتصيد الإناث أو الفرص وأحياناً كلاهما؛ فقد يجد مع فتاة فرصتين وأكثر، وقد يجد عشرة فتيات بفرصة واحدة، ماهرٌ لا يكل من ذلك. كنت أحسب أنني أحبه لكني وأيم الله كنت أكذب على ذاتي دون أن أشعر، رسمتُ لنفسي بيتاً كان سيّداً فيه، أن نعيش معاً في عالمٍ يماثلنا، كأن يقول لي: أنتِ أناي الأخرى، شبيهتي التي بحثتُ عنها كثيراً وأخيراً انتصر قلبي بالعثور عليها، أتوجك ملكة على عرش نابضي فهل توافقيني أن تكوني نصفي الآخر وتوأم روعي الذي لا ينفصل

عني البتة، أخبريني هل توافقين؟ أكرر هذه الكلمات لنفسي على لسانه على أمل أن ينطق بها يوماً أو أن يلمح في أحاديثه أنه يبتغيني، ولكن فقط كنتُ أكذب! كنت أحب حبه لي وليس ذاته! وأظل كل يوم أبحث عن رسالة منه، ليطمئني على حالي الذي بات مأسوراً في داخله رغم ذلك ما فتئت لوحدي أبحث عنه. حديثه لا يغادر ذاكرتي، كلماته حُبست في داخلي أو لي أن أقول أنها غرقت في أعماقي فلم تجد سبيل للخروج، وأنا كذلك غرقت فما عدتُ أرى غير صورته والتي لا أجد سبيل لتمزيقها خشية عليه من الأذية، رغم أذيته لي، لا أسمع سوى صنو صوته وكلماته الكاذبة التي براءة قد صدقتها، ولا تمر إلى أنفي رائحة إلا وتجدها عبرت إلا رائحته هي فقط التي استقرت، لتذكرني بحجم الخذلان التي تلقيته منه. الأذى الذي تلقيته منه كان كبيراً، رغم ذلك لا أحمل في قلبي حقداً عليه، كل ما أطلبه من نفسي هو النسيان أو التناسي، فكلما مرَّت الذكريات بخاطري تنساب قطرات من مجرى مدمعي لكن ليست حيناً له، إنّما من لوعة الأحزان التي أعترتني بسببه، فكاذبي كان بارعاً جداً في اختيار الكلمات، يُحيكها بمهارة، ويرسلها أغنية عذبة على مسمعك فتقع في طعم ودّه فريسة، دون أن ينوى الخير لمن هو أمامه، رغم ذلك سأغفر له حتى لا يكون بيننا لقاء مرة أخرى، ولا يُحارب

عصب الذكريات لذي، فيا ليته كان يعلم أن المطالب لا تحقق إلا إذا صدقت
النوايا.

درب سام

لم يكن الأمر سهلاً ولا باليسير، أن كيف للمرء أن يطمئن بوجود شخص يُحبه
يريد قربه ثم يخاف منه يريد بعده في الوقت ذاته؟

يا له من شعور نقيض!

بل هو من أعظم المستحيلات!

عن الحبّ فهو عالمٍ آخر فباحتواء مالك فؤادك لك ستشعر وكأن السماء
غمرتك سكينته، وجادت عليك الأرض فانشقت وابتلعت كل أولئك الذين
سببوا لك يوماً الأذى، وعن عالمك الذي ربما كان مظلماً سيشفع وميضاً وكأنّ
لم يزره قطّ ديجور، ستكون ملكاً في مملكة العشق، ذلك الإحساس مبهم،
مختلف وجميل.

إذا لم تروادني مشاعر نقيضة في داخلي، هل تراني أسلك طريق مخالف عن
الجميع فأضعّتهم، أم أني أمسك باليد الخاطئة؟

وهل أني أحببته، أم أحببت فكرة أن أكون له يوماً ما! فجميع ما أسمعه عن
تلك القصص لا تماثل إلا جزءاً من قصتي، جزءٌ ضئيل جداً، وجُلّ ذعري قد
كان وقت اختفائه في وحدتي التي طغت عليّ. لحظتذاك كنت لا أرى له أثراً
لا في ليالي ترحي، اكتتابي، وأيامي المظلمة، وحينما يطغو الجفاف قلبي

ويتشقق لبصر نورًا في إحدى تلك البقاع إلا وآراه يمد بكلتا يديه لي، من أين بان لا أعلم، فقط يحاول أن يخطفني خطفًا ويضممني معتذرًا! حتى تروادني الشكوك هل تراه لا يتمنى رؤيتي سعيدة دونه؟ أم لا يتحمل فكرة أن يراني مع غيره؟

بئسًا!

لم أدرك أنه قد كان لاعبًا ماهرًا فعلى الدورب السامة ولج بيّ وعندما لفظتُ ذاتي منها بانَ وكأنه لم يهجرني، وكأنه كان حاضرًا وبقربي دائمًا! لأن وهني كان سيد اللحظات كنتُ أسامحه وأعود معه على الطريق ذاته، وأدري أن كل هذا خطئنا، رغم معرفتي مُسبقًا أن كل خطيئة نرتكبها معًا يجب علينا أن نتحمل وندفع ثمنها منصافة، إلا أنني دائمًا كنت الوحيدة التي تدفع الثمن هنا، ألم أقل لكم في البداية لم يكن الأمر سهلًا حقًا.

مزدوج المشاعر

أنت من تُبعدني عنك بإرادتك ومن ثم تُخبرني أنني لا أصلح للحب بحجة أنني لا أملك من المشاعر ما تكفيك في حياتك، تُبدع في تهديدي بفكرة الزواج باثنتين أعلم أن ما يدور في خلدك ليس مقياساً لمعرفة مدى غيرتي، إنمَّا لوجود الأميرة - وأعرف أنني لست وحدي في حياته! - أدري أنني علمتُ بها مؤخرًا وأنت بجدارة خبأتها عني ولكن الأيام لوحدها كشفتها لي، وأزالت ستار ما كنت تُخطط له من ورائي. أدري كذلك أنه كان بمقدروي الهرب بعيدًا تاركة إياك، ثلاثة أيام وسيختفي مضمض بُعدك عن خافقي، بيد أنني تعلقت بك، أصبتُ بحبك، وبغباءٍ جازفتُ للمتابعة في قصةٍ لا نهاية لها، ولا علم لي ببدايتها.

هي تحبك وأنت كذلك، أنا أحبُّك ولكن ماذا عن مشاعرك تجاهي؟ ألم تشعر قط بما يصيبني عندما تكرر لي دائمًا أنها ما زالت تسكن بقاع قلبك، وأنها استحوذت على ما فيك من عقل؟ أنها روحك وبيتك الأول، ومن ثم تأتي لمواساتي بتذكيرك بعشقتك لي، ولكن كيف ذلك؟
أيَّ رجل أنت؟

حقاً كيف يستطيع لبّ فؤادك أن يجمع بين امراتين في آن واحد، إمّا أنك تحاول أن تملأ ذلك الفراغ الذي تُخلفه لك حبيبتك عندما تترك في دجى الأيام وحدك، أو تحاول مواساتي لأنني وحيدة، أياحب أن يراني فقط وحيدة وما العيب في وحدتي؟! أعيش رغداً، وفي هناءً بعيداً عن ترهات الحبّ السام، أحارب مع نفسي لأجلها، وأعلم ما هي أهدافي في الحياة، فالانسحاب مبكراً من تلك العلاقات السامة انتصار عظيم للنفس، ولا مجال للندم فيها، سأمضي تاركة إياك وستسعد أنت كذلك! الآن يمكنك الزواج بتلك الفتاة التي دائماً ما حلمت بالزواج منها.

رميه الذكريات

-بات أمركَ لا يعينني -وجودك من غيابك سيان- الآن لن تكون عقبة
 لخافقي، كم جازفتُ لرضائك تاركةً ورائي جبالاً من الأولويات، فقط لأجل
 أن تنعم بالراحة، ولم تفعل مثلما فعلتُ قط. خُضتُ معارك عدَّةً واحدة منها
 كانت مع جحفل النوم لكي لا ينهش الحزن أحلامك ليلاً، وأظل كل ليلةٍ
 أنسجُ من شجن حكاياتك معطفاً يحميك مما يعتري فؤادك المكلوم. لست
 هشاً أو ضعيفاً ولكن الحياة أسقطت من يدك منسأة كُنت تتكأ عليها فخارت
 قواك، وصرتَ غير مستور من وابلات الذكريات المؤلمة.

-عزيزتي! أميرة قلعتي، لم أُرِد يوماً أن أكون الفارس الذي أصاب بسيفه -
 قلب الحياة- ففنت في مقلتيك، كل ما جال في نيتي أن أهديك أجمل ما قد
 تبصره الأعين، لم أُرِدْ لكِ المعاناة وخوض دروسٍ فيها ليست بحجمك،
 صدقيني لن تتحملي، كانت ستقتلكِ قبل أن أجعلها جثة أمامك، حمايتك
 كانت واجبي لأنني أحبك وأخاف عليك، كنت وما زلتِ تلك الأنثى التي
 رُزقتُ بقلبٍ لين طيبٍ يفوق الثلج بياضاً يشبه ملامح الطفولة التي تُزين
 معالم وجهك.

إن خرتُ لم أسقط أرضاً لأنكِ كنتِ سندي الذي لم تره عيناى، ولم يبصره ما وراء صدري إلا حينما قررتِ اعتزالي بحجةٍ داحضةٍ أنيَّ أُوذيكِ.
 -أعداركِ سيدي لا ولن تُقبل، نويتَ ولكنك لم تعملِ -إنمَّا الأعمال بالنيات -
 لم تنجح سوى في وأد الطفلة التي تقطنُ أعماق روعي على رمضاء ذكرياتك.
 مرَّ الأمس، اليوم، وغداً، لم تتوقف الكرة الأرضية يوماً عن الدوران ولكن روح
 تلك الصغيرة لم تكبر! كنتُ أراها تعيش في عالم أكبر لا يشبهها البتّة، وما
 فتئتُ تصرخ وتتجبر أنى كيف كبرتُ بسرعةٍ وبالأمس القريب كانت تنادى
 بلؤلؤة البيت الأصغر؟

متى؟

كيف؟

ألن يتوقف الزمان هنيهة ليُفهمني ماذا طحا بيّ، لم تنكأ الحياة أحلامي
 وأكبرها أنت، خسرتك رغم أني لم أخطأ في حقك يوماً،
 كل ما فعلته أني غفوتُ قليلاً لأراني هنا أقف أمامك، وأنت ساخرٌ مني ومن
 يدي التي مُدت إليك، ساخرٌ من كل ما قد كان بيننا؛ فكيف لي بالبقاء هنا
 أرمم خرابك؟

-قراك بالرحيل أشعل في خافقي لهيب الميض، ولن يستطيع أحد غيرك
 إطفائه، كنت الوحيدة التي حاكت لي من الفرح سترة وقتني من ضوضاء
 ذاتي، وبذرت في حنايا روعي سنابل من الأمل، والتي بسوء ظننتها يأسًا
 فقطفتها، رغم ذلك أضحت تنمو فأريتني بذلك معنى اسمها، مساوئي لم
 يقدر على تحملها شخص سواك وما فتئت ظالمًا لك، أنا بقعة سوداء في
 عالمك وكان خيار أن تجعلني مني قبسًا يضيء العالمين خاطئ، كنت وما
 زلت وسأظل ديجورًا أرثدي من التعاسة رداءً لي، وهذا فراق بيني وبينك.

استعارة قلب

لا تأخذ قلبي وتذهب هل أعدته إلي؟ الذكريات التي أعيشها معك سينتهي إحساسها قريباً ستكون بالية في قلبي، لن أشعر بها عندما أحاول العبث فيها، ستفنى في داخلي. حتماً لا أريد أن يحتلني هذا الشعور، أريدك في اللحظات لا في الذكريات، أريد المكوث معك أينما مضيت وحللت، في الواقع لا في الأحلام، لكن هيهات لست لي ولست لك، منذ ذلك اليوم الذي طلبت فيه إنهاء تلك الحكاية أنا قد مضيت، منذ أن أغلقت الصفحات ووضعت نقطة النهاية رميتُ بقلمِي ومضيت، فقط لأن هذه الكلمات قد خرجت من ثغرك، قبلها كنتُ أصارع ذاتي في الماضي دونك، دون ذكراك، وسوى أنك كنت عنيدياً وبارعاً، يومٌ قريب ويوماً غريباً، كنتُ مبدعاً بالتحكم في نبضات خافقي، وكنت الشجاع في إنهاء تلك الحكاية دون تردد وأنا كنتُ الجبانة، حتى وقع فؤداي أسيراً في قبضتك وقد طالبتك بتحريره مُسبقاً فهو ملكي، لم يفعل ثمة شيء يؤذيك سوى أنه أحبك وأرادك أن تكون له وحده، أما عن بقية القصة فأنا المذنبه فيها، أنا من حاولتُ البحث في ماضيك، فعلتُ ذلك لأجل قلبي، فأنا لا أحتمل فكرة أن أراه مكسوراً يجر خيئته وحيداً، حاولت درء المخاطر عنه لكنه لم يصدقني، ذهب معك وتركني بلا

قلب، وأفكر بلا رحمة لأستعيده! لذا قد تظن أنني أرتكبت معك جرائم غير إنسانية لا يمكن لبشري ذو رحمة أن يفعلها، وكل ذلك كان لأجل نابضي، لو كنت بقلب لما فعلت ذلك، لكنت أكثر رحمة ورأفة بك، لكنت الأحن لقلبك، ولن يجدي التمني، لذا أعد لي ما تبقى مني للأمضي.

حلم وواقع

استلَبَ مهجتي وهَجَرَ، بِتُّ كَأَمْ أَهْمَلْتُ يدَ صغيرها لهنيئة ولم تجد سوى مكانه، خلْتُ كالبلهَاءِ أبحثُ دونما بوصلة أو دليل، حلَّقْتُ في سماءات الحب، وجُلْتُ في أراضيه عليّ أراه صدفةً غافياً بين الغيمات، أو ملقياً على قارعة الطرقات، لكن هيهات!

كمن يعيش في واقعٍ تمنى لو كان مناما، أن يُفيق دون أن يجد له سبيلا، أيا من كان يأخذني إليه فأجد السكينة والسلام بين يديه، هل لك أن تدلني على السبيل للقياك؟

أخبرني كيف كان شكل الطريق الذي سلك كل منّا فيه مسارا مختلفا؟ رجوتُ أن يكون هجرانك الذي أرق خيالي محض حلم، ووقتما أدع المجال لجفنيّ أن يرفع الستار عن عيني فأجدك واقفاً أمامي، كطائرٍ مهاجرٍ حطّ في دياره بعد ترحال طويل ليجد الطمانينة بين يديّ.

كمن كان في حلمٍ تمنى لو أضحي حقيقة، كل يوم تراود خيالي ومنامي، وكأن تلك الطامّة التي فرقت بيننا اندثرت كما الشهب، تمنيتُ أن تكون معي دائماً هنا وعندما أبصرُ الضوء أجدك ماداً لي ذراعيك وتدثرني في حضنك ماسحاً عني كل همّي، يا من تخلّل إلى فؤادي عنوة، وبات متشبثاً به، أدري أن قلبك

قد قسا، وأنّ السنين ما عادتُ كما في الماضي، فلا المشاعر التي نحملها
باتت كما هي، ولا الأيام، فأنت واقِعٌ ليس كما في المنام.
في الليلة الماضية تسربتَ عنوةً إلى أحلامي، كنتَ حاضرًا متربّعًا أمامي،
وبدأتَ تنادي على قلبي أن: تعال إليّ فأنا ما زلتُ أسكنك، اعلمي ذلك!
حقًا، مهلاً، من أعلمك بذلك؟
ومن أعطاك الحق لتحدثني؟
ألست أنت الذي فارقتني عنوة، لأجل هواك؟
ألست أنت الذي وعدتني أنك لن تخيّب ظني، وأقسمتَ لي أنك لن تترك
دربنا، فكنت أول من ترك؟
إذا إن كنت منامًا أو واقعا فأنت محض زائر غير مرحّب به!

هنيئاً لي فقد رحبت قلبي

عزيزتي أنا، تعلمي التجاوز، فأنا لم أخلق لأخسر، وكل ما فقدته في حياتي، ليس مُقدراً لي، لذا توقفتُ عن خلقِ الفرصِ من رحمِ العدم.

القصةُ أغلقت دفاترها وانتهت، يوماً ما وليس بعيداً سيأتيني عوضِي من الله، سيبشرني بما لم يخطر على بالي حتى! وسيفتح لي محراباً جديداً ومختلفاً.

يوماً ما سيعانق الحبُّ فؤادي كما أشتهى، ستشرق شمسي ساطعة وقلبي قوياً وكأنه جبلٌ من حديد، سأتجاوز الأمس ويكأنه ما كان، وقتها فقط

سأدرك كم كنتُ غيبية عندما قَزمتُ نفسي وعملقت من لا يستحق في داخلي، عندما وهبته ما كان بوسعي منحه لذاتي ومن حتى دون اللجوء إليه.

ما يؤلمني دائماً أنني كنتُ أخبره أنني اخترتُ شخصه وليس حُبّه رغماً عن ذلك أذاقني مرارة الخذلان، أفلت بيدي في ديسقٍ لم أبصر بعده بريق سنا، وولى

دون حتى أن يلتفت وراءه ليرى ما حلَّ بي، لن ألومه فلربمًا مكانتي عنده كانت كأني فتاة اختارها يوماً في حياته تعويضاً مؤقتاً ثم يعود لأميرته التي

أختارها قلبه أولاً غير آبه بما مضى، وكأن اختياره الفتيات عن دافعٍ للتسليّة _العابث الصغير_ أمّا عن حبه الذي كان موارباً خلف قناع البراءة والفتنة

الجميلة، فلم يجعلني أشكُ أبدًا فيه زيفه، حيث أنه كان بمنتهى اللطف مراتٍ
عدّة، ونقضها في بعض المرات، ليعود ويكتنفي بلطفه مجدداً.
حاولت منحه مئات الفرص، لكن لم يقدرها، وضعت له أكثر من الألفِ عذر
لكنه لم يهتم بهم، والآن لا أأسف عليه، بيد أنني سأعترف أنني تعلمتُ منه
درسًا عظيمًا، وقاسيًا كأن لا أمنح الثقة أبدًا وحتى ولو راودني شعور أنّ
الشخص الذي يقف أمامي يستحقه؛ من يدري فقد يخون مثلما فعل هو،
ولكن لا أعتقدُ أنني سأبدأ بالشكِّ بالجميع، حتى أعلم صدقهم، فقط سأترك
الخيار لقلبي، وأعلم أنه سيجيد حتمًا الاختيار. وحده من كان يدرك مقدار ما
عانيت لأجله، لأقدم له خافقي نابضًا بحبه، ذعرًا من الهجران المفاجئ
والانكسار المؤلم، خوفًا عليه من الاعتياد، ومن ثمّ الأذية، ويا ليتته كان يدري
كم هو مؤلم ذلك الفقدان! أن تفقد جزءًا منك مُتصلاً بنياط القلب لا تدري ما
هو وفي الوقت ذاته لا تتمنى له عودة لأنه سيزيد ألمك، تنوى اعتزاله ولكن
ما تنويه سيطحنك أذيةً، رغمًا عن ذلك تُصر على ذلك القرار، ألا وهو
الاستمرار في الاعتزال، الانكسار يزيد القلب قوة.

هيهات عزيزي كل ما علي قوله هنيئا لي بقلبي فلقد ربحتَه هذه المرة دون
أيِّ خسائر، وكله أملُه أن الله سيعوضه بالأجمل إن شاء الله.

الحب القديم

لا أعلم فكرة العودة إلى قديمٍ بالٍ
وكيف لذلك القلب المتجمد أن يعود نابضًا من جديد؟
كيف للروح أن تُنير بعد الانطفاء من الشخص ذاته مرات عدة؟
من وجهة نظري إن غاب شخصي المفضل عني يومًا كاملًا دون عذر وعن
قصد ثم أتبعها يومان وثلاث، إلى أسبوعٍ قاصدٍ بذلك عقاب أو ما شابه!
ستسقط مكانته عن قلبي ولن يعود مفضلي أو غيره فإن كنت قد هنت إليه
يومًا فقد هان إلي عمرًا كاملًا، وليهنأ بحياته بعيدًا عني، وليبحث عن ضحية
تذلل له وترجوه وتطلب منه أن تعود إلى حياة بالية مؤذية !

خاسته

ها أنا ذا أسرق الإحساس لأكتب عنك، أغمض عيني، وأستمع إلى دقات قلبي لكنها عادية جداً، أغوض في تلك العتمة علني أجد نوراً يقودني إلى أحد ذكرياتنا الجميلة ليهتز لها بدني ولم أجده. استمعتُ إلى كَمِّ هائل من الألحان لكنها لم تحرك وجداني، ولم يبق لي خياراً آخر سوى الرائحة، علمتُ أنها تلعب دوراً رئيساً في عصب الذكريات، أحضرتُ جمة من العطور التي جسدت لنا ماضياً لا يمكن نسيانه، لن أقول أنني فشلتُ لا نجحتُ فيما أردت الحصول عليه، لكنني فشلتُ في إنعاش قلبي، فقدتُ كل ما بحوزتي وما حملته من مشاعرِ الحب التي جمعتنا.

للمرة الأولى أشعر بقوة التمسك في اتخاذ قراري، أن أفلت بيدك وأمضي دونما التأثير، أن أتخلى عن فكرة إدمانك التي أرهقتني طوال تلك السنين.

العشق القاتل

للمرة الأولى أبصر قصةً تُماثل قصتنا يا حبيبي، للمرة الأولى أرى نفسي بطلّة في مسلسلٍ وأنت فيه بطلي وإن لم تكن واقعي فقد بتّ خيالاً في الأحلام، والأفلام لا يفارقني، وأنا بدوري قد عشقتك مرتين في الحقيقة مرة وفي الخيال، رسمتك، لونتك في لوحة زاهية وحدك فقط من كانت له أحقية المكوث فيها، وحدك من أردته شريكاً في عالمي الخاص، أما عن الحقيقة فلا أعلم ما يخبئه لي القدر فيه من قصة. استيقظ كل صباحٍ وخافقي يفتقدك رغماً عن مُعانتته منك، ذاق الأسى والخذلان كثيراً على يديك رغم ذلك بقيتُ معك، كنت أراك تُمسك السكين بيدك وتغزرها في أحشائي عمداً بعدها تعتذر خجلاً من فعلتك وتضمدني بيديك، حينها لم يزدد قلبي إلا حُباً لك. أجزم لك أن ذلك الشعور لم يكن كاذباً أبداً، الفراغ الذي تُخلفه في داخلي عظيم، أحببتك رغماً عني، لكن نسيانك سيكون بإرادتي بإذن الله، قصتنا هذه لا تحدث في الحقيقة أبداً يا عزيزي فقط في الروايات والمسلسلات. قصتنا هذه يا سيدي لو لم أعشها لما كنتُ قد صدقتها وظننتها كأى رواية جاد بها كاتب ليذهل الجميع ويغوص معه في بحر الخيال، كنتُ لي كل كلي، أمني وأحلامي، أمني التي دائماً ما حلمتُ بها، ساحري وسحري الخاص

ليس مثلك أحد، يبتدر وينتهي يومي بك أو قل جميع أيامي، بهجة روعي
ونبض القلب!

سأخبرك سري، سأفصح لك عما في قلبي، لن أتحدث عن الطيور وغيرها،
لن أكتب عن أي شيء غيرك، أنت فقط من تمثل قلبي، تحتل قلبي وتسيطر
على كامل عقلي، فيراني الجميع بك قد جُننت، إلا أنني في كامل قواي
العقلية. أحيانا أحن لك، وأحيانا أخرى أتمنى أن تختفي المسافات بيننا
ونجتمع في نقطة واحدة، وأحيانا أتمنى العودة إلى الماضي وانتقاء أجمل
اللحظات التي جمعتنا والبقاء فيها معك، دائما ما حلمت بالهروب إلى
المستقبل لأرى أين سنكون، وإلى أين سنصل ربما أكون قد تسرعت قليلاً
فرايت ما لا يعجبني وها نحن الآن منفصلين عن بعضنا تماما، كل منا يصارع
للاستمرار بعيداً عن الآخر حتى لا يأذيه، هل ترانا نستطيع؟ أجل ولِمَ لا؟!
الآن لا أفكر سوى في الحاضر فقط، وربما أحيانا أتمنى العودة إلى الماضي
البعيد لأكون أول الحاضرين في قلبك فلا إحداهن تسكنه قبلي ولا أخرى
تحتله من بعدي، أنا فقط من يحق لها أن تحتل فكرك وعقلك، أنا فقط.

لست مثالية

أراد مني أكون الدمية التي بلا فائدة، والضعيفة إلى الأبد، ربما تفاجئ بالقوة التي قد وصلت إليها، وبالتغيير الذي طرأ على شخصيتي إذ أنه أراد يُسالمني لن تمس يدي يدها كأني غريب، وإن تمازح معي كان علي أن أردّه أن أقول له: "عفوًا هل بيننا سابق معرفة حتى تمزح معي، ومن أعطاك الحق؟"

لست قاسية القلب، ولكن مشاعري تحجرت وكان السبب هو، ضميري لم يمت ولكن إنسايتي تجاهه وتجاه من ما يشابهه اندثرت، فكان علي أن أرد لكل صاع صاعين أو أكثر. أما عني ما زلتُ تلك الفراشة التي تُحلق دون كلل لتُعطي الحياة التي لا لون لها لون، ضاحكة رغم ظروف الحياة، أحمل في قلبي الأمل، الحسن والسوء. لم أتغير بتاتا لا تناسب مع نظراتك، ما زلتُ تلك الناقصة، لست مثالية البتة لأرضي أحلامه وغروره.

وسأنجو رغمًا عنه، حتى وإن أردت أن تدفني تحت أنقاض قلبي الممزق وأن تجعل مني شخصًا غير كافٍ، فأنا كافية لنفسية وسأبنيه من جديد ولو كلفني عمرًا كاملًا، لن يهزمني أي شعور أو قد يهز من ثقتي، سأنسى التضحيات وكل المسافات التي قطعتها لأجله، وليعلم أنا لا أستبدل لأنني الأفضل.

لِمَ لِمَ ترحل؟

أمكثت في قلبي لتؤذيه
وأردته عمداً يتكسر؟
أو تأمل أن تفجع روحي
وتدعني شكلي تتحسر؟!
ويحك يا أنت تريث
أتراني لحبك أتسول؟
لِمَ لا تبرح قلبي وذاكرتي؟
هيا أغرب عني وتوكل
ولماذا عمداً تؤذيني
قد حان آوانك أن ترحل
قد عشت بروحي وكياني
ورشفتُ لك الحب الأمثل
فركبت جواد مخيلتي
ومضيتُ بحلمي أتبختر
أأسير على ذات الخطوات

وأكون لك الذنب الأول؟
أم أغرس قلبي في قلبك
وتذيق الوجع فتترجل
أو أبقى صامدة وكفى
وأراقب بهدوءٍ أكثر
أخبرني إذا
لِمَ لم ترحل؟
لن أبقى مجردة عاطفة
لتذرف دمعاً وتتحول
سأموت بغيظي مخلصةً
لكنني بقوتي أتصبر
حاولتُ رضاك مجازفة
وخسرتك قبل أن أخسر
ويئن الصخر على حالي
والألم
فقد صرتُ به أفضل

ونثرتُ ورودًا تألفها
رشحتُ من العطر الصندل
فنشدتك في النظم قصائد
وخواطر وأكثرتُ من الشعر
سأبقى مثلما حالي
أراقب ريثما تنجبل
جرفت سيني مخدعةً
وحففت لك الحب الأول
أتراني صخرة أبدو
وقلبي مثلها يفعل؟
ودمعي في مآقي
يبت مني ويتسلل
قضيتُ كل أوقاتي
أراجعُ خطك الأوحل
وما عاد يساورني
خوفٌ منك أن ترحل

خذ ما شئت من فرحي
كما تحب أن تفعل
وتهرب كل ثانية
وتسأل عننا تسأل؟
عذراً قلبي أوجعني
هيا دعه وترجّل
كفاني الويل عايشني
صبح الليل والمأمل
تركتُ الزيف والملق
فتوكل حبنا وأرحل!
أخبرني إذا لم لا ترحل؟

قتيلة للهوى

أردانيّ قتيلاً الهوى
فهل حقاً أني في هواه تهت؟
ما بين كفيّ احتويته
نسيّت قبليّ وقبيلتي
لأجله كلهم محوت
عانقته، دثرته
لململت شتاته، أحزانه
ويظنّ أنيّ يوماً سئمت؟
رضيتُ برصاصةٍ غدره
ولكنني بهجره ما رضيت
عرجت إلى سماواته
وجدته، حدثه
عاتبته، علّه ينسى
جُل ما نسيّت!

وبضحكةٍ ساخرةٍ
أخبرني أنه انتهى أمري
وأني الآن قد خسرت
لا أبدًا قد خسئت
فأنا بحبك رزقت
عفوًا
كنت بحبك قد رزقت
لكنك أبدًا ما شفعت
وبكلماتك السامة لم يمر يومًا علي
إلا وترمي منها ما رميت
إذًا
لا أبدًا قد خسئت فأنا منك قد نجوت
كيف ابتدر حبنا؟
كان طفلٌ صغيرًا
يحبو على راحتيه

ثم كَبَّرَ ومعه كبرنا
من الصبا
إلى الكهولة إلى المشيبِ
إلى أسمى غايات المنى
كطائر السناء
محلّقاً وسط السماء
فيا ترى لِمَ قد ضاق صبرك؟
وبي قد ضقت ذرعاً!
قل ليّ بربك ماذا فعلت؟
أو لم يكفيك قلبي
يكفيك حُبّي
يكفيني أني لأجلك قد صبرتُ؟
أو تؤمن أن هجراني
سيعيدني إلى دنيا الآمان
يهدد مرقدى

وبعدك لن أعاني
لا وحقاً قد أخطت!
عانيتُ مثلما عانيت
في الدجى تخبطت
شوقاً إليك
لم تزل مقلتي تبكيك
حُبّاً
كلما داهمها طيفك
طريقي من دونك كان معتماً
حياتي لم يغازلها الفرح
غزاها الضنى والشجن
هل كنت هذا ما تود؟
فلمن أشكو؟
لمن أشكو إذا ما غبت عني
فأنت مني

وكُلِّي لست بعضي
وأنا في كلا الحالين منك
فنبض قلبك لي
ومذ أن خُلِق
كان ينبض باسمي
لأنك مني
وأنت لي
وكُلِّي إليك
وأعلم أن صورتي لن تراود مقلتيك
وصوتي أبداً لن يغازل أذنيك
أدري أنهما لن يصلا مهما حاولا إليك
وأنت جوراً من قلبك محوتني
فما ذنب روعي بالله عليك؟
دمرتني
هجرتني
نسيتني

في جب الخذلان

رميتني

لكن لا تظن أنني سئمتُ

لا فقد خسئت

فما برح قلبي نابضًا

دفق الحنين

إلى أين يأخذني الحنين؟

هو لن يساور قلبه

يجتاحني في كل حين

وجع يخالج حبه

وأنا بدمعي والأنين

نسهر الليل الطويل

ونصوغ عطر الياسمين

نكتب اللحن الجميل

أو لن يعود

ليضمّد الجرح الثقيل؟

ليضمّني ويقول لي:

أعذريني يا فتاتي

أعذريني يا جميلة

الأمس ماضٍ

والوعد آتٍ

بكل أثواب الفضيلة
لا تخافي يا أميرة
لا تخافي
وتجيبني تلك السنين
بذلك الصوت الحزين!
هو لن يعود
هو قال لي:
هذا وداع بيننا فتقبلي
اليوم أنهى فريضتي
لا تذكريني حبيبتى
وتذكري
أن لن يساورني الحنين
أنا لن أعود مجددا
لن أرجع العهد القديم
سأدگ كل بريدة
كتبتها في أي حين

هو قال لي: أنا لن أعود لقلبك

وأنا مضيت

وبخلفي تمضي خيبتني

وقطفة من ياسمين

وما زال يقتلني الحنين

رباه ما هذا الحنين

عودة قلم

عندما عدتُ لأكتب
بدا كل شيء كالضبابِ
تهتُّ بين أسراب الخيال
بين أروقة القراطيس
ما بين صفحات الكتاب
عن القصيد
عن النشيد
عن القصص والروايات
عاشت الأقلام فينا
لا تخط غير أحزان سرتُ
في أجسادنا
وجرت كما الدماء
فكُنَّا نتنفس الصعداء
كي نرتقى منها سحاب
فيصكُ القلم صريراً

كي يكتب
ويفتح للسلام ألف باب
هكذا عدتُ لأكتب
دونما أي ذنب
أو شعور سيئ
ليعيدني خلف الضباب
أعود مجددًا
وأحتضن بين كفي الغياب
أودع الظلمات قهراً
وأفتح للسلام ألف باب

عاودني الحنين

طال الفراق بنا عزيزي

أو لم يحين؟

لتحط في قلبي مودعًا

جُل الأسى والأنين

وترمم الشق الذي

كاد في قلبي أن يبين

وأنا التي أخفيتَه

فلم يخامرَه الحنين

بيد أنه لم يزل

ورغم طول تلك السنين

ينبض حبًا باسمك

حبٌ

اجتاز حب العاشقين

كيف لا؟

وهو قد كان الوتين

كيف لا؟

وقد فاح منه الياسمين

وينثر الاشواق حيناً

في قلوب العابرين

ويحك!

ماذا عن القلبِ السجين؟

ماذا عن الحزنِ الدفين؟

طال الفراق بنا كثيراً

أو لن تعيد؟

ذكرى تداعب خافقي

لينبض الحب الوليد

وتغازل الورد الهزيل

ويعود يزهر من جديد

وتضمني عند الأصيل

فتزهو لي الأيام عيد

أو لن تعود؟

لتعود إليَّ سعادتي
يا نبض قلبي والوريد
قد كنت قبلاً غايتي
يا عذب لحنى والنشيد
وحبى لك رأيتي
هل ينطق الحب المجيد؟
ونظمتُ فيك قصائدي
يا سيد الحرف والقصيد
عاد الحنينُ مغامراً
ليغزو قلبي من جديد
ليطرق الباب الذي
رفض الخضوع وأن يحيد
ليبني بقلعتي لك محجراً
أم خامر القلب جليداً؟
كيف لا وقد صددتني
لكم أنت يا هذا عنيدا!

كيف لا وقد زجرتني
أم أنت حقًا لا تريد؟
أن يعود حبنا مشرقًا
كبسمةِ الطفل السعيد
أن يعود حبنا نيرًا
ونمحو الماضي التليد
بيد أنك لا تريد
أم أن وقتنا لم يحين؟!

انسيني

تاه قلبي في الخيال
في المجاز
في الحقيقة
باحثٌ عنكَ
هنا، هناك
فوق، تحت
وما من طريقة
للوصول إليك
أو بالاحرى لا وجود لك
في أي مكان
أين أنت، وأين اختفيت؟
بحثٌ وبحثٌ
دون أن أجدكَ
ثم وصلني مكتوب منك
بعنوان كبير:

إلى حبيبتى
ربما هذا ما تهيأ لي
تبعها عنوان بخطٍ عريضٍ
كلمة قد كانت هاجس
تقص المضاجع
-انسيني
أو تظن أني قد أنساك؟
ولم لا!
لا شيء سيمنعني البتة
فلقد خلقت في قلبي فراغ
لم يملأه بغيرك حتى
لم تملؤه سوى الأثبات
وارتسم الألم كوشمٍ
يقتات بقايا الآهات
يقتات سنين الزمن الغابر
ليحترق في قلبي كفتات

وتبقى روعي كرماد
لن تُبْسِمِهَا التُّرْهَات
لن يجعلها قربك أقوى
ستفارق ماضي الآهات
أو ليس من حقي أنساك؟
أن أمضي
وكانني يوماً لم ألقاك
فكما قلت أن لا شيء
سيمنعني البتّة
وسأعود إلى أول نقطة
أين أنت، وأين اختفيت؟

قلتُ أحبكُ

قلتُ: أحبكُ

وليتني ما قلتها

يا ليتني ما بحثُ لك!

هذا الفؤاد قد احترق

من شوقه

من بُعدكُ

من خبثكُ أو سوءكُ

ساعده عنكُ لبيتعد

قلبي أحبكُ وأنتِ لا..

لم تحبه ولم تبالِ

قلبي تتيم بكُ وابتلى

في فؤادكُ فرمتِ عالي

كوني لي كثيرًا قلتها

وكذا قلت لي تعالي

نلقى الوعود الكاذبة
أين هي ولم نبال
عشنا الفراق الأصعب
وأنت لم تذق مفضل الليالي..
فقيرة باحت بسرها
وأنت الشحيح وصرت غالي
ذكرى اللقاء تلوح لي ويكأنها ابدرت من ثواني
صرنا أعجوبة وكذبة
بتنا تاريخ لأجيال
ماضي أنت وماضي راح
لن تعود ولن أوالي
لا تعود لأجلي لا
فقلبي صار لا يجازي..
كل من قال مرحبًا ذات يوم وكان باقي
لا تعد أعيد فبت محض ذكرى عقيمة لا توالي
وسأقول لك: أيها الغريب...هيا ابتعد

عن قلعتي لا تقترب
خذ هداياك، عطاياك
فباب دارنا أبدًا لن يُفتح لك
نعم، كما قلت سورنا عالي
ليس غرورًا كما تظنه
لكن قل عنه حفاظ على النفس
إذًا...

عن الحديث توقف
لا تسرد لي بطولاتك
حكاياتك الأسطورية
مغامراتك، من أنا لأسمعك
وأيضًا كيف لي أن أثق بك
وأنا حتى لا أعرفك...
لا تحكي لي قصصًا خيالية
فحتمًا أني لن أصدقك...
نعم، عدت غريبًا مجددًا

ويا ليتني ما بحثُ لك

طائر الحب

شدا شدا طائر الحب

في فؤادي وغفا

كروان حطَّ سهوا عليّ

لا، بل فجأة أين اختفى؟

علقني في حبه سريعاً ثم

تركني في فضائه

تائهة!

وحيدة!

لا أرى أي ضوء..

كي أصل إلى النهاية

ومن أي بداية قد أتيتُ

هذه هي كل الحكاية..

العتمة..

وعرة الطرق..

الأكاذيب..

ذئب جائر نحوي انطلق ثم اختفى
عاد الطائر من جديد
بقناع غير الذي وقع
حلق
ثم حلق إلى سماء ليس لها حدود
هل انتهت الحكاية؟
لست أدري
دعنا نمضي معًا يا طائري
علنا نكتب لحن جديد
يخلو من حلو الأكاذيب
إن أنت رفضت
سيحل غيرك طائر نبيل
يمحو قصتك وكل ما كتبتة
امضِ ودعني أفكر
كما أنت تفكر
دعني أقرر

إذا كنت ذا ما سيعزف حلو النشيد
شدا وغارد يشدو
طائر الحب ولكنه هذه المرة لم يغف.

حيرة أم غيرة؟

أحدهم يشعر بالفراغ العاطفي فيركض نحوي باحثًا عن الأمان في داخلي، يلهث من لوث.العالم علّه ينجو من تلك المتاهة التي ولج بها، يحاول أن يلفظ ذاته إلى النور، ولا يجد تلك اليد التي تمتد له سواي، يغوص في بحر هائج، ستبتلعه دوامات الأوهام إن لم يخرج منها، وما إن أخرجه ويعود كما كان؛ ينسى حقًا من أنا وكيف أتيت إليه، ربما قد يتهمني بالاقتراب منه عنوة لكي أأذيه ويكأنه يخاف مني، ربما لا يحتمل بريقتي ووهجي فيعود في ظلماته مجددًا، يمر يومًا أو يومان حتى يصرخ مجددًا، طالبًا النجدة، ولا شيء غير النجدة من تلك الأوهام، وهذه المرة لا يخافني، لا يخاف ضوئي ووهجي يمد يده نحو أخرجه كما في المرة السابقة!..

وتجدد الحكاية وأظل أنا في حيرة من هذه الحال، هل أساعده أم أدعه مع الأوهام والأحزان.

أي حب؟

عن أي حب تتحدثين يا أمي؟

فأنا كبرت وأيقنتُ أن الحياة عقبات وتضحيات، كأن أضحى بحبٍ حقيقي كي يبقى معي شخصٌ لا يماثلني يضايق قلبي الصغير، ينسف حلمي مني .

أجل يا أمي، إنه يضايقني وأنتِ لا تعرفيني إن كان هذا يجدي أم لا؟

فلتعلمي أن ابنتك ستتأذي إن وافقت على هذا البلاء.. وستعيش في رمضاء

الزمن ستكون يوماً كأنه لم تكن.. تلك الإنسانية الحرة، ستظل تبكي ليلاً

ونهاراً وأنتِ لن يعجبك أن ترين ابنتك من قلبها تنهار..

أماه إن الخير فيما كتبه الله، إن كان التضيحة التي قدمتها تجدي سيرسل الله

لي أملي وسيكون مجدي، سيرسل ذاك الفارس الأبدي.. سيكون حارسي

وملاكي وسيكون حبي ووجدي.

أمي أنا ما برحتُ أنتظر وما أجمل الانتظار يُخالطه الصبر، وأثق أن الله يعلم

ما في قلبي وإن أراد كن فيكن لكل أمر، أمرٌ طال بي انتظاره أملاً وما أجمل

هذا الصبر..

أدرين يا أمي أن ذلك الفتى الذي ظننتي إنه بطل ليس إلا وهماً، أوهمك أنه

بالشهامة قد رزق، يبحث عن فريسة له فقط، وحش يريد أن يتذوق كل طعم.

أو تدرين يا أمي أن ذلك الفارس المقدام قد دُفن أمام مُقلتا غاليتك، لم تعد تراه مقدامًا كما كان، بل صار وحشًا هجينًا هائجًا وغدارًا.. هجينٌ بين وحش وإنسان نصف وحش لا عقل له ونصف إنسان لا قلب له.. أجل وكما وصفت يستخدم عقله البشري مع قلبه الوحشي أو للوحوش قلوب؟! يستخدم طاقة العدم لإيحاء العدم عدم عقل، عدم فهم.. عدم قلب لا مشاعر فيه.

ليس هذا فقط يا أمي قد كان سكيرًا حقيرًا، كمن يهوى عشيقته على زوجته ولم تزوج أسأليه؟ ويهوى أن يلاعب بنات حواء بكلامه المعسول المنمق، أريد أن أعرف لِمَ لم أصغ له حينما كان يحادثني مثلهن هذا أن الله كان معي في كل حين.

من أنت؟

ما زلت تكذب ولا تبالي؟

من أنت حقًا، أهكذا ستتساقط الأقنعة، يا ليتني لم أضع نفسي في هذا الاختبار وأمام هذا الاختيار، فبين ربوع تلك الكذبة ولجت وصعب علي الخروج منك الآن، أن كيف استطعت أن تفعل هذا فما بين شخصية هبلة تُصدق تلك الفكرة، وشخصية أخرى تود لو لم تكن هكذا سواء كان بالأذية أو نكران الذات.

أيها الكاذب مرحبًا

ولربما أني أيضا منافقة

لكنني أردت فقط أردت شيئًا واحدًا

ولم أعرفه...

لكن...

لن تكون لي ولن أكون لك

أنت كذاب تخوص في الحكايات

وأنا بدوري أرسم سيناريوهات وأحيطها لتصير حقيقة دون أن يرد يبعد أعني

شيء.

لست بخيراً

لا تسألني عن حالي إن قرأت عنوان نصي ستعلم كيف هو، أجل لست كذلك.
أود البكاء طويلاً أو لا، لست بذلك الضعف لأبكي - رغماً أن لا عيب فيه -
أشتهى الصراخ عالياً ولربما لا، ما فتئ عقلي يعمل على إنتاج خلايا فكرية
مذهلة؛ ما زلت أود فعل المستحيل عند البعض ليصبح ممكناً، ولكن ما زلت
أشعر بوعكة في قلبي، أيعقل، أخلل فيه؟
أم به؟

لست بخير وإن أردت أن أسرد ما في داخلي فلا صديق لي يسمعني، يطبب
عليّ وينيرني للطريق.
حسنًا...

أحياناً تجتاحني رغبة عارمة في البكاء، مم؟
لست أدري!
ممن؟
لا أحد.

فقط أشتهى الانزواء بعيداً والبكاء دونما أي سبب، تخنقني العبرة بين الفينة
والأخرى، ويتوجس خافقي شيء من الرهبة، تدق النبضات بلا هوادة.

الحنين؟

لا أشعر به!

الآنين؟

لا يمضني!

إذا ما بي؟

داخل عقلي الكثير من الكلمات، والكثير من الأسئلة التي يبحث عن إجابة لها مثلاً عن الحب؟

وهم!

عن الصداقة؟

حظ!

عن الأخوة؟

حقيقة

قد يكون الأخ صديق، والصديق أخ، ولكن ليس كل من فتحت له بابك صار صديقاً لك فقط جاور من يشابهك، من يرسى عنده قلبك، وتبوء مقعده في سويداء ذلك الفؤاد.

أعلم أن الحزن للحمقى، وإن أردت أكون بخير فذا بيدي، أحطم تلك الجنازير
التي تكبلني، أكسر السلاسل والقيود، وابحث عن نفسي في داخلي،
أختطفها من زاوية العزلة التي اكتنفتها للبكاء، ورغم ذلك لم يطرق بابها
دمع!

ألوذ بها من الآنين إلى الحنين، من الحزن إلى ركن السعادة، هو ليس أبدياً،
لكنه مُسكن مؤقت وجميل.

الوهم

حسنًا في داخلي شيء غريب لا أدري ما هو، أهي غصة؟

أم نوبة حزن ابتلعتها دون قصد؟

أهو القلق يأكل داخلي؟

أم مزيج من اللاشيء والشيء؛ ليكونا لي خيالٌ مُبهم!

الصراخُ حيلة قديمة نستخدمها لتفريغ تلك الطاقة الغريبة الممتلئة في

دواخلنا، كان سابقًا يُجدي أما الآن فلا مجال له!

البكاءُ حيلة غبية ليست للضعفاء فقط ولكن علامًا أذرف أدمعي؟

الهروب مما تُراني أفر؟

من ذاتي، عائلتي، أصدقائي، وكل الداعمين حولي؟

حتمًا الغريب لا يُواجه إلا بحيلة مُبتكرة وهي التجاهل!

والكثير الجمّ من الاستغفار.

خيطة ومتر

سيدي المسّاح هل رأيت قلباً مرّ من هنا؟ لا تستغرب، أجل قلبُ فتِيٍّ؛ فهو
 ملكٌ لي وقع أسيراً بين مُقلتيّ ذاك الذي كان يحمل متراً؛ ليقبس طول السيخ
 ولكنه قصد خافقي، لحظتها كان بحوذته خيطاً طويلاً كبله به، ولا تسألني
 أين كنت غائبة عنه؛ وقتئذ عيناى كانت على أربع سيخات مُكبلات بكانة،
 شعرتُ بشمة شيء يربطني مثلهن وهناك شيء ينقصني، بحثتُ عن ضالتي
 في الأرجاء فلم أجد صاحب المتر وقلبي، أنى لهما أن يذهب دونما وداعي؟
 هلاً دللتني سيدي أين ذهب الأسر والأسير لأعيدهما لمكانهما؟

قاطن أيسري

أيا حبيب يقطن فؤادي! أوما وصلك أنك سفينتي التي تُبحر فوق أوردتي؟
وأن قلبي مُرتبط بك حد الموت؛ فإن توقفت عن السريان في حناياي صار
موتي مُحتمًا.

أيا عزيزي وايم الله حُبك ولج عنوة في دهاليز فأضحى دمي الذي يمدني
بالحياة، لذا أعلم تمامًا أنه لن يمر علي ذلك اليوم الذي يجعلني أترك يديك؛
صدقني سأتمنى الفناء حينها فلا محيي للجسد دون الروح.

أيا حبيب هذا الأيسر الذي ينبض فرحًا بك أوما أعلمك أنك نوره الذي إذا أفل
صار الردى مصيره؟

تأكد أن لن أدعك لطالما يربطنا الحب، تأكد وحسب.

تائه فيه

أيا أنت!

لا بل هو، أنا أنا، وأنا هو!

الحب سراب في بیداء الإحساس، والإحساس طفل نائم بين كفيّ الحنين،
الحنين كرة صوفية نُسجت من عمق الحروف، الحروف تتزاحم حول حلقي
وتغصني، واقفة هنا تسألني عمّن أنا؟

أو من هو؟

لا الوصف سيوفيني حقّه لأعبر عنه، ولا الكلمات قد تحارب لتُلفظ من عنق
زعيم مملكة الحبر لتكتب إليه أو له ولربما عنه، إلا أن سؤالاً واحداً سيرادوني
الآن؛ لمن يعود ضمير الهاء أيّ من هو بطل القصة هنا؟

الطين اللازب يقف في المقدمة ليكون له حق الإجابة على اللاسؤال،
يتجسد بهيئته كطائر العنقاء - يحرق كل شيء حتى نفسه ويتحول إلى رماد -
باحثاً عن الضوء الأخضر ولا وجود لضوء في صحراء، أينبض القلب دون

دماء؟

أو كيف يشعر دون الحبّ، أيتنفس المرء دون هواء؟

دع كل هذه الأسئلة جانبًا وأجبنني يا أنا من هو، وكيف ولج في سراب أزلِّي
ولا نهاية له؟

إيقاع أسود

الموسيقى ما زالت تتعالى تارة وتنخفض تارة، ضجيج ودخان، أنفاس خانقة تملأ الأجواء، الألوان تتطاير في السماء، وكأنها تسحب ذاتها من كل شيء، فبدت الأشياء بلا لون عدا الصوت، يسير العصفور على جناحيه، السمكة تقفز بين الأغصان الجافة، ما زال إيقاع الموسيقى بلونه الأسود يصدح دوري مي، تنشق الأرض ليهرب النجم راکضاً بعد أن غادر مجرته للعيش بين البشر، ما فتئت الألحان فا صو لا سي وتعكس دورتها، فيأتي جحفل من الغيم باحثاً عن تلك الأنجم الهاربة ليعيدها إلى حيث السديم الذي كانت فيه، وتُفجر السماء براكينها. بداية جديدة سي لا صو، يضج الإيقاع، ترتفع أنفاس الحاضرين جميعهم، الظلال تلتف حول الجميع وكيف للظل أن يتكون دونما ضوء؟ فا مي ري دو رفع المايسترو عصاه عاليًا ليعلن بداية دورة العزف.

من جديد، لا شيء سيخفيض ذلك الضجيج الآن! لا تغلق أذنك بل استمع إليها كما أفعل، فالصمت هو المايسترو الذي يعزف لحن الحديث!

ديسمبري

مرحبا ديسمبري

ها قد أتيت أخيراً بعد أن طال انتظاري لك كثيراً
فقد انتظرتك أربعة وثلاثين وثلاثمائة يوماً، لتحل عليّ، «كيف حالك؟ فقد
اشتقت إليك حقاً»

كعادتك كل عام تأتي محملاً بالحب والعطاء، تظل شهري المميز دائماً
وسأظل أردد هذه العبارة كل عام؛ «أنا أحبك ديسمبر.»

فاسمك يُعزف على كمنجات العازفين، يكتب على صفحات كتاب الشعراء،
يعني لك الفنانون كم هم يحبونك كما أحبك ولكني أحبك أكثر.

أحبك لأنني فيك قد ولدت، لا أقول أنني مميزة، ولكن لأنك شهر المميزين،
فأنت لم تنجب إلا المميزين في حياتي فشكراً لأنك جمعتني بهم.

أحبك لأنك ختام أحزان كل الشهور التي ولت، فنبصر فيك كل الخير.

أحبك لأنك ختام عام وعلى عتبات نسمايك سيطل عام، فعلة عام سعادة.
ديسمبري تقف الكلمات على مقدمة جوفي رافضة أن تخرج لأنك أغلى من
أن تكتب بل أنت حين تحل لا بد لي فقط أن يُشعر بقدمك.

إلى نقطة البداية

في البداية جل ما ستفعله أن تراقبني من بعيد!
 ويومٌ ما سيأخذك الفضول لتحادثني، ولكنك لن تتجرأ على الإقتراب،
 شيء فشيء سينكسر حاجز الخوف الذي بنيته في داخلك تجاهي وستقترب
 مني، سترسل لي طلب صداقة، وستهم في قبولي له، لا تقلق سأقبل إن كان
 بيننا الكثير من الأصدقاء المشتركين ما يزيد عن الألف مثلاً!
 بعدئذ ستضغط على رز إنشاء رسالة، ستكتب لي «صباح الخير أو مساءه
 لا يهم» وربما لن تكتب أيّ منهما، فقد ترسل لي رسالتك في وضح النهار
 أن «نهارك سعيد» وسأقرأها بلا شك عند المساء أو صباح اليوم التالي؛ هذه
 ليست عادة ولكني أبحث في ملفاتك لأجمع معلومات عنك، بعدئذ سأرد
 على رسالتك حسب الوقت الذي يظهر لي في أعلى ستارة هاتفي، سأرحب
 بك أولاً بعد الإقائي لتحية الاسلام ثم عليك.
 مرحى مرحى!

ستفرح قليلاً لأنك استطعت هدم جدران الخوف في داخلك، وليس لأنك قد
 راسلتني؛ فحتمًا أنني لست ملاك.

بعد دقائق فقط_ ليست يومًا أو يومين_ ستظن أنني شخصٌ لطيف، وترسم عني لوحةً أنيقة في مخيلتك الخصبّة؛ حتى أنني إن رأيتها سأتفاجأ بها جدًّا. بعدها قد تجعلني أهم اهتمامتك، وستظل ترسل لي كل يوم، وأنا لن أتكبر عليك فهذه ليست صفاتي، ولكن إن تأخرت في الردِّ عنك يومًا، لِم ستعاتبني ويكأنك تعرفني منذ أمد بعيد، ليس لشهر أو أقل؟!

أو تعلم؟

لم يكُ قطُّ خطأك، أنا من فتحتُ لك الباب، أنا التي أزلت لك الستار عن حقيقتي التي كنت تجهلها، ولكن فات الأوان، لتعيد تلك اللوحة الشفافة، التي رسمتها عني مجددًا وإلى سابق عهدها، لأعود ذلك الشخص اللطيف! ولكن لِم لا نبدأ محادثتنا من النهايات التعيسة والسيئة دائمًا، أجعلك ترى سيئاتي وجانبي السوداوي أولًا، ثم نعود إلى نقطة البداية البدايات اللطيفة المذهلة، أليست دائمًا ما تكون جميلة، أخبرني ما رأيك؟

تم بحمد الله.